

صحائف المجد والخلود

الفن المصري القديم

— ٣ —

مصر ملتقى ثقافات العالم :

مرت بمصر في مدى نيف وسبعة آلاف من السنين ، من عهد ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا ، أربع مدن عظيمة : المدينة المصرية أو الفرعونية . وهي عصر تنماء المصريين وملوكهم حتى دخول الاغريق مصر واتخاذهم الاسكندرية مقراً للحكم . والمدينة الاسكندرية ، وهي عصر الاغريق والرومان الذين كانت الاسكندرية في عهدهم عاصمة البلاد . والمدينة المسيحية (أو القبطية البيزنطية) وهي عصر خضوع مصر للديانة المسيحية وظهور الاقطاط . ثم المدينة الاسلامية ، وبدأ بدخول العرب مصر وتقلب الديانة الاسلامية على البلاد .

ومن ذلك تجمع مصر لنا في آثارها أعظم سجل للحضارات البارزة ، وأجل كتاب يقرأ عن الصور المتعاقبة في تاريخ الانسانية . دعك عنك ما شهدت مصر من مختلف الشعوب التي تابعت على أرضها في الفترات المتوالية ، وما تركت هذه الدول في وادي النيل من صور للثقافات المتباينة . حتى تكفي مصر وحدها ان تعطي لمن يرغب في دراسة الفن كل شيء ، وتكفيه المؤونة في كل ما يريد عليه . وانا اذا وضعتنا تحت عيني القاري بأن أديم مصر قد كان مسرحاً كبيراً لغالب الأمم التي عرفها التاريخ ، مثلت فيه كل واحدة دورها ، وصرعت عليه أمة بعد أمة . وإذا أشرنا الى أن كل أمة من هذه الأمم تركت على هذا الأديم أثراً من ثقافتها ، وأثرأ من نفسيها ، ان كبيراً أو ضئيلاً . فقد تكون مصر وحدها أجدر دول التاريخ بالدراسة . فضلاً عن أنها المصدر الأول للديانات جميعاً .

متنضي ، مقدمة قبول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلاً على نيته الصالحة ، وتجارته الراجعة .

فارتجت الأندلس لبعده ، آخذه الله برحمة من عنده . توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبع مائة . رحمه الله .

عبد الرهاب عزام

والصراة ، كابين أبي العلاء ، يفدون على الأندلس مجاهدين مرابطين غضبا لدينهم ، وحمية لآخوانهم .

جاء عثمان الأندلس يقول « مشيخة الفزاة » وحسن بلاؤه ، وعظمت مكاته فكان شجي في حلق الاسبان ، وكان غصة ليني الأحرشاركهم في سؤددهم حتى كاد يتأثر بالأمر درهم وهو من قبل خصم قومه ملوك المغرب ، ثار عليهم وزلزل دولتهم زماناً . لم يكن عثمان ملكاً ولكنه :

كان من نفسه الكبيرة في جيه ش ، ومن كبرياه في سلطان تولي زعامة الفزاة ثلاثاً وعشرين سنة فأوهن عزمه ، ولا قل حده ، ولا أغمد سيفه ، ولا خلد سرجه ،

وما كان الا النار في كل موضع تير غباراً في مكان دخان والنفس الكبيرة تسهين بالصعاب ، وتطرق على المنايا الابواب . وما الجيوش الجرارة ، والحروب المستمرة في همة الرجل العظيم اذا صمم .

فأثبت في مستنقع الموت رجله . وقال لها : من تحت أخمضك الحشر . حسبي من الافاضة في وصف عثمان ، والاشادة بذكره أن أنقل هنا ما كتبه أصحابه الفزاة على قبره :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال والكماة ، واحد الجلالة ، ليث الاقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامي دمار الاسلام ، صاحب الكتاب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازي المسطورة ، وإمام الصفوف : القائم باباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعداء ، ورأس الآساد ، العالى المهيم ، الثابت القدم ، المهام الماجد الأرضي ، البطل الباسل الأمضى ، المقدس المرحوم أبي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل المهام الكبير الاصيل الشهر المقدس المرحوم أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق . كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أفقه ما بين روعة في سيل الله وغدوة ، حتى استوفى في المشهور سبع مائة واثنين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره بجهاد مجتهد في طاعة الرب ، محسباً في اارة الحرب ، ماضى العزائم في جهاد الكفار ، مصادماً بين جموعهم تدفق التيار ، وصنع الله تعالى فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره في الأقطار ، أشهر من المثل السيار ، حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد طلى أنوابه ، وهو مرابط لطاغية الكفر واحزابه . فبات على ما عاش عليه ، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه ، واستأثر به سعيداً مرتضى ، وسيفه على رأس ملك الروم

في العصر الذي حكمت في مصر فيه الاغريق والرومان مثلا ،
وتقارنه في نفس الوقت بما كان من آثار الفن الاغريقي والرومانى
في بلاد الاغريق والرومان ذاتهما . فلا شك سيظهر ذلك الفرق
واضحاً بين روحية الفن في المكانين . في الاغريق والرومان متشعباً بذلك
الوشاح الظاهر من الاجساد والتعقيد . وفي مصر بسيطاً وديماً رشيقاً .
وكما نطبق هذه الحال على العصر الاغريقي والرومانى ، نطبقها
ايضاً على العصر المسيحي القبطى ، الذى كان قاشياً فيه نوع الفن
اليزنطى . فان نفس تلك الظاهرة التى يراها مستغرق مائى مصر عما
كان مألوفاً في ذلك العهد من نفس نوع الفن في القسطنطينية مثلا ،
مهبط الفن اليزنطى .

وهكذا ايضاً الفن الاسلامى . فقد يكفى بلا كبير غناء مقارنة
ما في مصر من آثاره بما هو موجود في بلاد المغرب مثلا التى نقلت
الى مصر الاسلوب الفاطمى . أو ما هو موجود منه في بلاد العراق
وسوريا اللتين ارتبطت مصر في طويل من الزمن معهما في عصر
من الاسلوب والشكل . فقد خضع الفن الاسلامى فيه في جو
مصر لمزاج أهل مصر ، وللروح المصرية . في حين أن له في كل
مكان ، وفي بلاد الاسلام جميعاً ، صبغة عالمية . فاضطر الفن لذلك
أن يتكيف في الارض المصرية بالطابع الذى تتميز به مصر دائماً ،
وهو طابع الاحتشام والبساطة والرقه الذى يعطى مع ذلك أروع
وألطف ما يكون من التأثير .

وحيث قد بقي لمصر فيها الخاص بها ، المنطع بالطابع المصرى
الصميم ، الذى لم يخطئ غرضه ، ولم يشذ عن طريقه ، منذ أخذت
مصر مكانها تحت الشمس . وفي ذلك سر من اسرار عظمة مصر
الفنية التى يعترف لها بها التاريخ .

واذن فالفن المصرى جدير بالدراسة قبل كل الفنون الاخرى .
اذ هو فضلاً عن كونه فناً علياً غير مقتبس في أصله من أى بلاد
اجتية ، بخلاف غيره . وفضلاً عن أنه الفن الوحيد الذى احتفظ
مدى التاريخ بشخصيته الخاصة التى اقرنت باسم مصر . فانه المرأة
التي تعكس علينا ثقافات الاجيال المتعاقبة مجتمعة في سجل واحد ،
هو الآثار المصرية القديمة .

ودون ذلك يجب ألا ينسى فضل الفن المصرى على فنون العالم ؛
في أنه المصدر أو المدرسة الاولى التى تلتقت عنها دروس الفن أهم
الارض جميعاً .

أحمد يوسف

بالمصنف المصرى

« يتبع »

ويكفى لنقرر كيف جمعت مصر في أرضها حضارات العالم
بأجمعه بأن نشير الى العناصر التى دخلت فيها من الحروب والفتوح ،
مدى التاريخ القديم حتى يومنا هذا . فقد تعاقب على مصر من
عناصر الأمم المختلفة : الساميون . والمكسوس (البدو الرعاة) .
واللويون . والآتيويون (التويون) . والاشوريون . والفرس .
والاغريق . والرومان . والعرب . والمغسارية . والاكراد .
والشراكة . والأتراك . والفرنسيون . والانجليز . وقد احتك
بها فوق ذلك من الأمم الاخرى : الحثيون . والكلدانيون .
والفينيقيون . فلا عجب أن تكون مصر خير أمة يجب دراسة تاريخ
الفن فيها . بل ما أجدها أن تجتمع حولها الدنيا الحديثة لترقب في
آثارها وسجلاتها صوراً خالدة من الدنيا القديمة . وتقرأ في مظاهرها
التيانية كتاباً جليلاً من كتب المجد لم تجمعها أمة غير مصر .

وقد يجب أن تعتبر مصر ملتقى ثقافات الشرق بالغرب .
بل ان ثقافة مصر ذاتها نشرت على البلاد المجاورة لها نوراً كان له
الأثر الظاهر في حضارتها وتفكيرها .

وقد نأخذ دليلاً على ذلك فتوح مصر القديمة على يد جيوش
« تحتمس الثالث » و « رمسيس الثاني » مثلاً . فان أمثال هذه
الفتوحات قد تركت في كل مكان ، من الغرب للشرق ، ومن الشمال
للجنوب ، أثراً ، لا تزال بقاياه تشهد في الآثار الموجودة حتى
أقصى الفرس ، وحتى أقصى بلاد المغرب ، وحتى أواسط افريقيا ،

ولكن مصر ظلت مدى هذه التطورات التى مرت بها محافظة
على قومية خاصة في فعالها تعرف لها ظاهرة في أى أمة أخرى .
ففي عهد المدينيات الاربع المتعاقبة على تاريخها ، التى ذكرناها ،
وفي عهد الاقتباسات الفنية القليلة التى دخلت على الفن المصرى في
بعض فترات من التاريخ ، كان للفن عندها طابعه الخاص . لا يخطئ
قوميته أو روحيته الملائمة له . فهى ان كانت في إبان المدينيات
الاربع قد انتقلت من عصر الى عصر ، يكاد يكون كل واحد منه
غريباً عن أخيه في ثقافته ونظامه ، حتى يظهر جديداً كل الجادة عما
كان مألوفاً من قبل . وان كانت الحياة قد تطورت تندها ، من
مصرية فرعونية ، الى أغريقية . ورومانية ، الى مسيحية وقبطية ،
الى اسلامية ، إلا أن الفن في إبان هذه الثقافات الطارئة كان
مصرياً . مصرى الشخصية والروح . أو أن البلاد تصرنها الفن ،
أو هي مصرت فن كل مدينة من تلك المدينيات ، وذلك ليلامهم طبيعة
مصر ، وتمشى مع ذوقها .

وان كان من شاهد يطلب على ذلك ، فقد نشير الى آثار الفن